

الفضاء العمومي والإعلام الجديد

د/مالفي عبد القادر/ تواتي فاطمة الزهراء
جامعة مستغانم

مقدمة:

يعد الإعلام الجديد شكلا جديدا من الإعلام الذي ينافس الإعلام التقليدي من حيث الأنوية والفورية، وأهم ما ميزه ظهور الإنترنت، وقد برزت معالمه مع بروز وتطور تكنولوجيات الإعلام والاتصال التي عرفها العالم. ويحظى الإعلام الجديد اليوم باهتمام الباحثين في مجال الإعلام والاتصال باعتقادا بأهمية وضرورة معرفة التجليات والتغيرات التي طرأت على الإعلام التقليدي وساهمت في تغيير وتكريس بعض المفاهيم كمفهوم الديمقراطية الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بمفهوم الفضاء العمومي. ويعرف هذا الأخير بأنه المكان أو المجال الذي يجري فيه الحوار والنقاش العام القائم على مبدأ التحاور والالتزام بأداب المناقشة والمناظرة واحترام الأفكار وقبول الرأي الآخر. ويقوم هذا الفضاء على المبدأ المذكور آنفا "الديمقراطية"، حيث تمثل وسائل الإعلام جزءا من هذا الفضاء لا غنى عنه ومنبرا للتواصل ونقل الأفكار والمعلومات بين السلطة والشعب، وبين الأفراد في حد ذاتهم.

ويعتبر هذا المفهوم من المفاهيم التي تتميز بأهمية نظرية كبيرة في دراسة الظاهرة الاتصالية والإعلامية بمراعاة الظروف الاجتماعية والسياسية والثقافية للمجتمع. ومن هذا المنطلق تم صياغة الأسئلة التالية لتكوين نظرة منظمة علميا وفهم الظاهرة محل الدراسة: ما الذي أضافه الإعلام الجديد للفضاء العمومي؟ وكيف نفكر في الفضاء العمومي في ظل الزخم الإعلامي الذي يشهده الإعلام الجديد؟

الإعلام الجديد، الإعلام الإلكتروني، الإعلام البديل... كلها مترادفات لمعنى واحد، ويقصد به "الإعلام الذي يعتمد على التقنيات الجديدة التي بدأت بعد ظهور الإنترنت، مثل المنتديات والمدونات وبرامج التواصل الاجتماعي، ويمتاز بكونه إعلاما غير وسيط حيث الكل فيه مستقبل ومرسل بعكس الإعلام التقليدي (الإذاعة، التلفزيون، الصحافة) الذي هو إعلام وسيط، يبدأ بإرسال مؤسساتي إلى استقبال جماهيري".¹

"وينتشر الإنترنت بداية من ستينيات القرن العشرين بزيادة أمريكية قدمت عدة خدمات تتمثل في:

- البريد الإلكتروني E-mail فبواسطة الربط مع شبكة الإنترنت يمكن إرسال البريد إلى أي شخص في العالم بتكلفة أقل من الوسائل التقليدية المتاحة مثل الخطابات أو الفاكس.
- المناقشة والتحاور بين عدد من المستخدمين من المهتمين بموضوع معين حيث تنتوع هذه الموضوعات من السياسة إلى التجارة .. وغيرها.
- الحصول على المعلومات فيمكن من خلال الإنترنت الحصول على معلومات متنوعة في مختلف الموضوعات: أخبار العالم، أسهم وبورصة، بحوث علمية وطبية، أسواق تجارية.. إلخ".²
- وقد أقيمت دراسات عديدة للبحث في هذا المجال لمعرفة الخصائص التي يتمتع بها الإنترنت وقدم الباحثون خمس نقاط أساسية كدليل على أن الإعلام الرقمي بشكل عام والإنترنت بشكل خاص شكلوا مساحة جديدة من الإعلام أكثر ديمقراطية وهي:
 - ✓ "إتاحة المعلومات لكل الناس بسهولة، فلم تعد المعرفة حكرا على النخبة والطبقة العليا.
 - ✓ جعل تكنولوجيا الإعلام رخيصة وسهلة الاستخدام وأوسع الإعلام الرقمي من رقعة مصادر المواد الإعلامية، فأى شخص يمكن أن يصبح منتجا إعلاميا، مما جعل رصد الرأي العام أسهل مما سبق.
 - ✓ الإعلام الرقمي مكن العامة من التواصل عن طريق شبكات مثل شبكات التواصل الاجتماعي، مما سهل التواصل عن بعد بل عبر القارات.
 - ✓ أصبح الآن من السهل إرسال رسائل من أكثر من مصدر إلى متلق أو أكثر في نفس الوقت وتلقي أكثر من رد المصدر أو أكثر، وهذه الخدمة توفرها الهواتف الحديثة والإيميل وشبكات التواصل الاجتماعي.
 - ✓ يفتح الإعلام الجديد الباب أمام مشاركة وجهات نظر العامة المختلفة وتجاربهم ومشاعرهم. هناك مجال لعرض وجهات النظر ومناقشتها، بل تصحيحها ومزجها مع ما يتوافق معها وليس فقط التباهي بها وعرضها دون تفاعل".³

وقد أشاد بأهمية الإنترنت عدة باحثين، وفي هذا الصدد يكتب د. نسيم الخوري عنها فيقول:

"الإنترنت هي نهاية الجغرافيا والخلاص من محددات السجون التي طبعت الكرة والحدود، وهي غزو العقول وتكييف المنطق، وتوجيه الجمال، وصنع الأدواق وقولبة السلوك، وترسيخ قيم عالمية جديدة، وهي التي تنقلنا من القبيلة الضيقة إلى القبيلة البشرية الكبرى، وتمنحنا الثقافة السريعة، وتجعل بمتناولنا المعارض السريعة والفن والرسم والموسيقى، وهي الملاذ الوحيد الواسع لديمقراطية المعرفة في الأمكنة والأزمنة كلها ومن دون أية قيود".⁴

"ويعتبر البعض أن الإنترنت توحد البشرية وتفتح آفاق المعرفة على مصراعيه، إنها الشبكة الحرة والمتحررة التي لا تقف أمامها الحدود والأديان والألوان، وهي السوق العالمية والثقافية الواسعة وأهم تطور ثقافي منذ سيطرة الإنسان على النار. إلا أنها (أي الإنترنت) قد تبعدنا عن أنفسنا وعن ثقافتنا إذا لم نحسن استعمالها أو التصدي لها في بعض الأحيان".⁵ ومن أهم المزايا التي أتاحتها الإنترنت **"فضاءات الحوار الجماعي"** التي تقوم على مبادئ الديمقراطية والمشاركة –

إلحداً.

بالتواصل بين الجمهور، وتأخذ فضاءات الحوار الجماعي شكلاً لدراسة أو الحوار، ويتمثل المبدأ العام الذي يميز هافياً أنفراداً تجمعهم مشواغلو هو الجسم مشترك، يقرر ونالاً انتقالاً ضمن مجموعة افتراضية، ليتحدثوا ويتناقشوا ويتبادلوا الآراء حول موضوع ما، فيشكلون إذًا جماعة عتي تواصل لأعضاء فيها أحياناً، إذ إن كل عضو هو في الوقت ذاته مهتم سلو مستقبل. ولم يستفد المتلقي العربي، وفقاً للتقارير العربية للتنمية الثقافية، بشك لفا علمتلك الفضاءات الإلكترونية وفيما جالاتو عية السياسية الديمقراطية، إذ تشير الإحصائيات الحديثة المتعلقة بدوافع استخدام الفرد العرب يلانترنت إلى أن الدافع الرئيسي هو التسلية جاء في المرتبة الأولى بنسبة 46%، فيما سجل الدافع التماس المعلومات نسبة 26% فقط.⁶ "وأصبح الإعلام الجديد يمثل فضاء تواصلياً بديلاً وموازياً وفريداً تتشكل فيه أنماط جديدة من التفاعل والتعبير، وهو الإطار الذي تتحقق فيه عملية التمثيل الإعلامي للأحداث الاجتماعية والسياسية والثقافية. وهو مجال تواصلية وساطية تشكله وسائل الإعلام التي تبرز الأفكار والآراء والأحداث الاجتماعية.

كما ساهم الإعلام الجديد في تأسيس فضاء متنوع الأبعاد يحتضن أنماطاً متعددة من التفاعل، وأنماطاً من الكتابة الجديدة كالتدوين، وأنماطاً من الاتصال ذات نماذج تقليدية رغم وجودها في الفضاء الافتراضي كالإعلان والتسويق".⁷ وهي تمثل في مجملها أنشطة اتصالية تحتضنها الإنترنت بامتياز، ساهمت في انتشارها على مساحات أوسع مما كانت عليه في الإعلام التقليدي.

"كما وسعت الإنترنت المجال العمومي بإتاحتها فضاءات جديدة للنخب البديلة وعززت مشاركة المواطنين في الحياة السياسية عبر أدوات جديدة".⁸

وهي بهذا تشكل فضاء عمومياً افتراضياً يتعدى الخصائص النمطية التقليدية كالإطار الزمني والمكاني، واقتصرها على النخبة في المجتمعات البرجوازية، وزيادة درجة الحرية للأفراد المنتهين لهذا الفضاء بإتاحة إمكانيات واسعة للتعبير. إضافة إلى ظهور ممارسات اتصالية وإعلامية حديثة الكل فيها مرسل ومستقبل، وتراجع السلطة للقائم على المؤسسة الإعلامية التقليدية وتعويضها بالرقابة الذاتية والقيمية لكل فرد مشارك.

"يرجع الفضل في ذلك (من حيث المفهوم) للفيلسوف الألماني المعاصر **يورغن هابرماس** في الستينيات من القرن الماضي، ويقول بأنه ظهر مع الديمقراطية في اليونان القديمة باعتبارها نموذجاً إيديولوجياً الذي يحتفظ باستمراره المتواصلة عبر العصور خاصة على مستوى تاريخ الأفكار".⁹

"وبعد **هابرماس** من فلاسفة الجيل الثاني لمدرسة فرانكفورت المعروفة بالمدرسة النقدية أو النظرية النقدية، وأكثرهم شهرة فيها في الحقبة المعاصرة. كما يعد من أكبر فلاسفة الغرب اليوم وأهم فلاسفة الألمان المعاصرين، وقد قادته فلسفته المهمة بالإنسان إلى الانتقال إلى مواقع النزاعات بنفسه، إلى إيران وإلى الشرق العربي وألبانيا وبلدان عدة إفريقية وآسيوية".¹⁰ وتعد مساهمات **يورغن هابرماس** ذات أهمية كبيرة، وتقوم نظرية **"المجال العام"** عنده على وصف وشرح عملية تشكيل الرأي العام والمؤشرات الاجتماعية والثقافية التي تساعد على تطوير الرأي العام. ويتوسط المجال مجالات السلطة العامة والحكومة والمجال الخاص الذي قد يركز على الشؤون الخاصة بالأسرة والأفراد. وقد نشأ المجال العام في المجتمعات البرجوازية الأوروبية في القرن الثامن عشر، وكانت تمارس من خلاله المناقشات حول السياسات الحكومية، وفي إطاره تبلورت اتجاهات الرأي العام.

وعرف **هابرماس** المناخ أو المجال العام بأنه مجتمع افتراضي أو خيالي ليس من الضروري تواجده في مكان معروف أو مميز، فهو يتكون في الأساس من مجموعة من الأفراد لهم سمات مشتركة يجتمعون بعضهم ببعض كجمهور، لكي يقوموا بوضع وتحديد احتياجات المجتمع من الدولة. ويعتبر المجال العام مصدراً لتكوين الرأي العام، وهو يتطلب شرعية السلطة لتفعيل أي ديمقراطية، فهو يبرز الآراء والاتجاهات من خلال السلوكيات والحوار".¹¹

"وتقوم نظرية المجال العام في بنيتها الجديدة على محاولة فهم حدود الدور الذي تقوم به وسائل الإعلام الجديدة في إتاحة النقاش العام وتسهيل بلورة توافقات تعبر عن الرأي العام النشط، وبحيث تكون إطاراً نظرياً متكاملًا يمكنه توضيح حدود الدور الذي تقوم به وسائل الإعلام الجديدة متمثلة في المدونات والمنديات ومجموعات النقاش في إدارة وتوجيه النقاش السياسي والاجتماعي في المجتمع، من أجل تعزيز المشاركة العامة وترشيد مدخلات صناعة القرار، وصولاً إلى دعم كفاءة الفعل الديمقراطي في المجتمعات، عبر بلورة رأي عام يتميز بأولويات تحظى باتفاق جماهيري وتمنح الشرعية للعمليات السياسية المختلفة".¹²

"عملت الإنترنت مؤخرًا على الظهور كوسيلة إعلام بديلة لاسيما في المجال السياسي والثقافي، ولا تتطلب موارد كبيرة وإجراءات بيروقراطية معقدة، وتسمح الإنترنت للأفراد بإنشاء مجالات عامة افتراضية منخفضة الكلفة مصاحبة للأشكال التنظيمية والاحتجاجية الأخرى، وذلك لأن آراء هذه الجماعات قد تم استبعادها أو تهيمشها في المجال العام لوسائل الإعلام الجماهيرية".¹³

"والإنترنت بوجه عام ومواقعها الاجتماعية بوجه خاص جاءت لتشكل عالماً افتراضياً جديداً يفتح الباب واسعا على مصراعيه للأفراد والجماعات والتنظيمات بمختلف أنواعها للتنفس سمات حرية غير مسبقة من جانب، وإسماع صوتها للآخرين من

جانب آخر، وذلك عبر مواقع عدد من الصحف الافتراضية الجديدة والمواقع الإخبارية والمنتديات والقوائم البريدية والمواقع الشخصية لبعض السياسيين ورجال الدين والأفراد العاديين. ومن هنا، فإن ظهور الإعلام البديل متمثلاً في شبكة الإنترنت جاء كحركة ارتجائية أو كرد فعل عنيف للواقع الاجتماعي الذي فرضته تكنولوجيا الاتصال بتوفير وسائل نشر بديلة تتمتع بدرجة عالية من الحرية وسهولة الاستخدام وانخفاض الكلفة، وذلك للتخلص من سيطرة النخب الإعلامية على وسائل الإعلام التقليدية في المجتمع، وغياب المصداقية في وسائل الإعلام التقليدية¹⁴.

قائمة المراجع:

1- الكتب:

- بالعربية:

- إبراهيم، عبد الرزاق انتصار ؛ حسام، الساموك صفد: "الإعلام الجديد: تطور الأداء والوسيلة والوظيفة"، الدار الجامعية للطباعة والنشر والترجمة، العراق، 2011.
- درويش اللبان، شريف ، "مداخلات في الإعلام البديل والنشر الإلكتروني على الإنترنت"، الطبعة الأولى، دار العالم العربي، مصر، 2011.
- عبد الرزاق السالمي، علاء: "تكنولوجيا المعلومات"، الطبعة الأولى، دار المناهج، الأردن، 2010.
- عبود المحمداوي، علي: "الإشكالية السياسية للحدثة- من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل- هابرماس أنموذجاً"، الطبعة الأولى، دار الأمان ومنشورات الاختلاف، الرباط والجزائر، 2011.
- سكري، رفيق: "الإعلام والإعلام العربي- دراسة في الواقع والمتغيرات"، الطبعة الأولى، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، 2011.
- كولمان، ستيفن ؛ روس، كارين ؛ تر: صباح حسن عبد القادر: "الإعلام والجمهور"، الطبعة الأولى، دار الفجر، مصر، 2012.

- بالفرنسية:

-SFSIC : «**émergences et continuité dans les recherches en information et communication** », Eric George : 'Relecture du concept d'espace public à l'heure de l'internet', actes du XIIe congrès national des sciences de l'information et de la communication UNESCO (Paris), 2001.

الوايوغرافيا:

1. عمار شاهين : "الإعلام الاجتماعي: قوة التأثير والتغيير"، من الموقع: www.veecos.net
2. علاء عبد الرزاق السالمي: "تكنولوجيا المعلومات"، الطبعة الأولى، دار المناهج، الأردن، 2010. ص.ص 408-409.
3. ستيفن كولمان، كارين روس، تر: صباح حسن عبد القادر: "الإعلام والجمهور"، الطبعة الأولى، دار الفجر، مصر، 2012. ص.ص 158، 159.
4. رفيق سكري: "الإعلام والإعلام العربي- دراسة في الواقع والمتغيرات"، الطبعة الأولى، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، 2011. ص 40.
5. رفيق سكري، نفس المرجع، ص 42.
6. انتصار إبراهيم عبد الرزاق، صفد حسام الساموك: "الإعلام الجديد: تطور الأداء والوسيلة والوظيفة"، الدار الجامعية للطباعة والنشر والترجمة، العراق، 2011. ص 27.
7. الصادق الحمامي: "الميدان الجديدة والمجال العمومي: الإحياء والانبعاث"، البوابة العربية لعلوم الإعلام والاتصال من الموقع: www.arabmediastudies.com
8. الصادق الحمامي، نفس المرجع.
9. SFSIC : «**émergences et continuité dans les recherches en information et communication** », Eric George : 'Relecture du concept d'espace public à l'heure de l'internet', actes du XIIe congrès national des sciences de l'information et de la communication UNESCO (Paris), 2001. P29.
10. علي عبود المحمداوي: "الإشكالية السياسية للحدثة- من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل- هابرماس أنموذجاً"، الطبعة الأولى، دار الأمان ومنشورات الاختلاف، الرباط والجزائر، 2011. ص 29، 31.
11. شريف درويش اللبان: "مداخلات في الإعلام البديل والنشر الإلكتروني على الإنترنت"، الطبعة الأولى، دار العالم العربي، مصر، 2011. ص 75.
12. شريف درويش اللبان، "مداخلات في الإعلام البديل والنشر الإلكتروني على الإنترنت"، الطبعة الأولى، دار العالم العربي، مصر، 2011. ص.ص 75، 76.
13. شريف درويش اللبان، نفس المرجع، ص.ص 76، 80.
14. شريف درويش اللبان، نفس المرجع، ص 60.